Journal of Al-Farahidi's Arts, No: 65:p(I I): 44-67
Doi: https://doi.org/10.25130/jfa.18.65.2.3

P-ISSN : 2074-9554 | E-ISSN: 2663-811
Journal of Al-Farahidi's Arts
available online at : fja.tu.edu.iq/index.php/fja

Dr. . Esraa Abdul Munim Fadel Hammoudi
E-Mail: israa.23bep146@student.uomosul.edu.iq

The allure of symbolism and the openness of meaning: Approaches to the aesthetics of suggestion in Al-Mu'tash's Diwan by Ajwad Majbal

Keywords:
Symbol, Signification, Suggestion: Critical Approaches to the Poetry of Ajwad Mujbil.

Article history:

Received	5/1/2026
Received in revised form	17/5/2026
Accepted	18/5/2026
Available online	30/6/2026

E-mail Jaa@ tu.edu.iq

©THIS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CCBY LICENSE
http:// creativecommons.org/licenses/by/4.0

A B S T R A C T

This study explores the allure of symbolism, the aesthetics of suggestion, and the openness of meaning in Ajwad Mujbil's poetry collection "Al-Ma'tash." The work is approached as a poetic text that thrives on implication rather than direct statement, creating a dynamic interplay between image and meaning, and between language and the manifestations of existence. The research views the symbol as a creative device for generating meaning and evoking the hidden layers of the text, while suggestion operates as the aesthetic force that expands the poem's interpretive horizons. Through examining the poetic structure and symbolic patterns, the study aims to reveal the mechanisms by which meaning is formed and how language transforms into an expressive energy that transcends surface reference toward a contemplative realm linking the personal with the universal. In this light, the collection stands as a model of how poetry engages with the questions of being and beauty through a symbolic and suggestive system that balances ambiguity and clarity, sensuality and thought, rendering meaning as an open and inexhaustible experience..

فتنة الرمز وانفتاح الدلالة : مقاربات في جماليات الإيحاء في ديوان المعطاش لأجود مجبل

م. د. إسراء عبد المنعم فاضل / معهد الفنون الجميلة للبنين

المستخلص:

يتناول هذا البحث فتنة الرمز وجماليات الإيحاء وانفتاح الدلالة في ديوان "المعطاش" لأجود مجبل؛ بوصفه نصًا شعريًا ينهض على التلميح لا التصريح، مؤسسًا لعلاقة جدلية بين الصورة والمعنى، وبين اللغة وتجليات الوجود إذ تنطلق الدراسة من رؤية تعتبر الرمز وسيلة لتوليد المعنى واستدعاء العوالم الخفية للنص، فيما يشكّل الإيحاء الأداة الجمالية التي تفتح النص على تعدد القراءات والتأويلات عبر تحليل البنية الشعرية والنسق الرمزي، تسعى الدراسة إلى الكشف عن آليات تشكّل المعنى في النص، وكيف تتحول اللغة إلى طاقة دلالية وجمالية تتجاوز حدود المباشر لتبلغ أفقًا تأمليًا يربط بين التجربة الذاتية والهمّ الإنساني العام ، وبهذا يبرز الديوان نموذجًا لتفاعل الشعر مع أسئلة الوجود والجمال عبر نظام رمزي إيحائي يمزج بين الغموض والوضوح؛ وبين الحسي والفكري، ليجعل المعنى حالة مفتوحة لا نهائية.

الكلمات المفتاحية : الرمز، الدلالة ، الإيحاء، مقاربات ، أجود مجبل.

المقدمة

مشكلة الدراسة وأهميتها.

قامت إشكالية الدراسة على التساؤل التالي : كيف ينجح الشاعر في تفجير المعنى عبر الرمز والإيحاء، وما هي آليات انفتاح الدلالة التي تجعل النص قابلاً لتعدد القراءات؟ مع البحث في العلاقة الجدلية بين الصورة الشعرية والمغزى الفلسفي أو النفسي الكامن وراءها، وإثارة التساؤل عن دور المتلقي في استكمال بناء المعنى داخل النص الشعري.

أسباب اختيار الموضوع

يرجع سبب اختيار الموضوع إلى أسبابٍ عدة وهي : الأصالة والتميز الأدبي إذ يبرز الديوان بأسلوبه الإيحائي الفريد وصوره الرمزية الغنية، ما يجعله مادة خصبة لدراسة الجماليات الشعرية.

بالإضافة إلى تعددية الدلالات إذ يتيح النص فتح آفاق تأويلية متعددة، مما يعزز فهم العلاقة بين اللغة والمعنى في الشعر المعاصر وكذلك القيمة المعرفية والتربوية إذ تسهم دراسة الديوان في تعزيز مهارات القراءة النقدية والتحليلية لدى الباحثين والطلاب المهتمين بالأدب العربي المعاصر.

أهداف الدراسة

تأخذنا الجماليات الإيحائية والرمزية في الديوان إلى استدعاء التأويلات المختلفة وفهم آليات تفجير المعنى وكذلك استكشاف تعددية الدلالات ومرونة النص ، مع تسليط الضوء على العلاقة بين الهيكلية الشعرية والمغزى الوجودي أو الروحي في باطن النص والسعي لتعزيز فهم القارئ والنقاد لأبعاد الإيحاء والرمزية في نص شعري معاصر.

منهج الدراسة

تتبنى الدراسة **المنهج الاستقرائي التحليلي الوصفي** ، مع التركيز على **جماليات الإيحاء والرمزية** وفتح آفاق التأويل، وذلك لفهم البنية الدلالية للنص وعلاقته بالبعد الوجودي والجمالي.

خطة الدراسة

تكونت الدراسة من مقدمة تحوي على : مشكلة الدراسة ؛ أسباب اختيار الموضوع ؛ أهداف الدراسة ؛ منهجية الدراسة وخطة الدراسة، يأتي بعدها بحوث ثلاث أولها: تكوَّن من الإطار

النظري (الرمز والإيحاء : المفاهيم والمرجعيات : أولاً : تعريف الرمز في النقد الحديث، ثانيًا: مفهوم الإيحاء وعلاقته بالتأويل والدلالة)

وجاء المبحث الثاني بعنوان : (الرمز بوصفه أداة لتكثيف المعنى : أولاً : الرمز أداة لتفجير المعنى وليس زخرفًا لفظيًا ، وثانيًا : تعددية القراءة وتنوع المسارات في جدلية الخصب والموت).

أما المبحث الثالث فحمل عنوان :(جماليات الإيحاء وانفتاح الدلالة : أولاً: تداخل الحسي مع الروحي والوجودي في تأثيث الموت، وثانيًا: الرمزية البصرية وآثارها على النص).

ثم خاتمة بأهم النتائج التي توصل إليها البحث وقائمة بثبت المصادر.

المبحث الأول :

الإطار النظري / الرمز والإيحاء: المفاهيم والمرجعيات

1_ تعريف الرمز في النقد الحديث.

الرمز من المفاهيم التي تعرضت لاستعمالات كثيرة ويصعب حصرها وكثيرًا ما يخضع لاستعمالات متعددة داخل العلم الواحد(الولي ، 1990 :189) فـــ " الرمز تعبير مطرد عند كل الناس بالمحتوى نفسه ولذلك فنحن عندما نعثر عليه في أي حلم كنا نترجمه (بالطريقة نفسها دائمًا) إن هذا يكسب الرمز طابعًا عرفيًا مادام مطردًا بالمعنى نفسه وهذا يجعله يتميز عن التكثيف والنقل" (الولي :200) ، فالرمز يمتلك طاقة هائلة لخدمة الفكرة أو الموضوع الشعري، فالفكرة المباشرة تكون مطولة وراكدة لذلك يتم استخدام الرموز في التعبير لتصبح موجزة وحيوية ومؤثرة وجدانيًا (ينظر: العلاق ، 1990 :56) ، فمن الممكن وصفه بالمعنى الدقيق إذ أنه إشارة تتجاوز معناها لكي تفتح أفق واسع من الدلالة ، فهو لا يكتفي بالإشارة إلى الشيء الظاهر وإنما يتجاوز ذلك لكي يستدعي طبقة خفية للمعنى وتوصله بالوجدان قبل الفكر والثقافة ، حيث أنه وسيلة فنية تبتعد عن التصريح وعن المباشرة بل تلجأ إلى التلميح لتوسع النص أكثر من حدود عباراته الظاهرة وتمنحه غنًا أكبر من دلالته الأولى.

ويقابل مصطلح الرمزية في الثقافة الغربية مصطلح Symbolism أو EL Symbolism وهي مفردة راسخة الدلالة في الثقافة الغربية قديمًا وحديثًا حيث عُرفت في الثقافة اليونانية والإغريقية وفي الديانة المسيحية وفي الفكر الغربي الحديث في حقوله المعرفية المختلفة فقد عرفت عند الفلاسفة، وعلماء النفس وعلماء اللغة (ينظر: العتيبي ، 2016 :218) ، ولـــم

تبعد دلالتها التي عرفت قديمًا عن الدلالة الأدبية الحديثة فمثلاً كانت تعني قديما " شيئًا ما يعني شيئا آخر" (فتوح ، 1977 :250).

2_ مفهوم الإيحاء وعلاقته بالتأويل والدلالة

يُعرّف الإيحاء بأنه عنصر من عناصر التجربة الشعرية الحديثة، بحيث يكون الإيحاء في الألفاظ والصورة وتراسل الحواس، ويُستخدم ليمنح النص عمقًا إنسانيًا ودلالة نفسية عميقة(ينظر: الخرابشة ، 2018 :12_13) فالإيحاء هو فعل إثارة تمثّل أو فكرة داخل ذهن المتلقي عبر أمر خارجي كـــ(كلمة؛ صوت؛ رمز أو صورة)، بحيث لا يُصرَّح بالمعنى صراحةً وإنما يُستحثّ وجوده في الذهن عن طريق أثرٍ غير مباشر، بعبارة أخرى: الإيحاء عمل تواصلي يزرع احتمالات دلالية داخل العقل بدلاً من إبراز معنى صريح ومباشر(ينظر: صليبا ، 2008، 1 :181) ، و في سياق النص الأدبي يُعد الإيحاء استراتيجية لغوية وفنية تجعل من عناصر النص (الكلمة، الصورة، التجاور) أقطابًا لدلالاتٍ غير معلنة؛ فالنص هنا لا يبلغ المعنى بالقوة المباشرة بل يهيئ مساحات قابلة للتأويل، ويطلب من القارئ إكمال الدلالة أو استدعاؤها داخليًّا، إذًا فالإيحاء وسيلة لإحداث عمقٍ دلالي ونبض وجداني يتخطى حدود المعنى الحرفي، وكذلك جُعل من تصنيف المفاهيم الجوهرية في الخطاب الأدبي ممثلًا البعد العميق للغة الشعرية التي تتجاوز المعنى الظاهر إلى ما يختبئ خلفه من دلالات رمزية ونفسية وثقافية. فالإيحاء لا يقدّم الفكرة بصورة مباشرة، بل يفتح المجال أمام القارئ لاستنباط المعاني المتعددة وفق خبرته وثقافته، ليصبح النص فضاءً للتأويل الحرّ لا يتقيد بحدود المعنى الواحد.

وتقوم وظيفة الإيحاء على تحفيز الدلالة عبر إشارات لغوية وصورية تثير خيال المتلقي وتدعوه إلى المشاركة في بناء المعنى، فبدل أن يكتفي الشاعر بالتصريح، يختار التلميح والإيماء لتوسيع أفق التلقي وجعل النص مفتوحًا على احتمالات متعددة من الفهم ، و بهذا المعنى يتحوّل الإيحاء إلى جسرٍ بين الدلالة الظاهرة والتأويل الباطن فتُصبح اللغة مجالًا للتجريب والانفتاح لا للتقريرية.

أما العلاقة بين الإيحاء والتأويل فهي علاقة تكامل وتبادل؛ فالإيحاء يخلق المسافة الغامضة التي تدفع القارئ إلى ممارسة التأويل، في حين يمنح التأويل حياة جديدة للنص عبر استنطاق ما خفي من إشاراته ، و بهذا يتحول التأويل إلى فعل يشارك في إنتاج المعنى لا في كشفه

فحسب، ومن ثمّ يتجلى الإيحاء بوصفه منظومة دلالية مفتوحة، تتجاوز البنية اللغوية إلى أفق الرموز والأساطير والصور الثقافية المتراكبة داخل النص.

إنّ الدلالة في النص الموحِي لا تقتصر على الإشارة اللغوية، بل تتعدّاها إلى شبكةٍ من العلاقات النفسية والرمزية التي تمنح اللفظ أكثر من معنى، وهنا يظهر الإيحاء كطاقة خفية تفعّل البنية الشعرية وتمنحها عمقًا جماليًا يؤسس للتعدد والتنوع في التفسير، مما يجعل النص الأدبي قابلًا للتجدد في كل قراءة.

المبحث الثاني :

الرمز بوصفه أداة لتكثيف المعنى

1_ الرمز أداة لتفجير المعنى وليس زخرف لفظي

إنّ الرمز في العمل الأدبي لا يُعدّ مجرد وسيلة لتزيين الخطاب أو لإضفاء غموض مصطنع على النص، بل هو آلية فاعلة لتوليد الدلالات وتفجير طاقات المعنى الكامن في اللغة. فوظيفته لا تتوقف عند حدود الإشارة الشكلية، بل تمتد لتغدو أداة فكرية وجمالية تُحرّك البنية الدلالية للنص وتفتحها على مستويات من التأويل تتجاوز المباشر والمألوف.

حين يستخدم المبدع الرمز، فإنه يحرّر المعنى من التحديد الأحادي، ليغدو النص فضاءً لتعدد القراءات وتنوع الدلالات، وبذلك يتحول الرمز إلى طاقة توليدية تُفعّل الخيال وتثير الوعي، فهو لا يزيّن القول بل يعمّقه، ولا يختبئ خلف الألفاظ بل يوقظها لتبوح بما لا يُقال، إنّ قيمته الحقيقية تكمن في قدرته على إثارة الأسئلة لا تقديم الإجابات، وعلى كشف ما وراء الظاهر عبر الإيحاء والتضمين والتقابل.

لقد أثار ديوان (المَعطاش) جدلية في رمزيته يمكن أن نفهمها بوصفه بنية ديناميكية تشتغل داخل النص لتعيد إنتاج المعنى باستمرار، فنرى تحول الخطاب من مجال للزخرفة اللفظية إلى مجال للتجريب والتأمل، فالرمزية التي تحمل في داخلها توترًا بين الدال والمدلول و بين الحضور والغياب ينتج عنها توترًا يُمنح النص عمقه الفني وقدرته على تجاوز اللحظة المباشرة نحو أفق التأمل الفلسفي والجمالي ، وللولوج الى داخل الديوان نبتدأ بقصيدة (الوِلادةُ هُنا) (مجبل ، 200 : 13) إذ تقوم الأنا الشعرية بتفجير المعنى برمزية صاخبة:

إلهَةٌ بِيَدَيها تَفتحُ المَعبَدْ

والشَّمْعُ مِنْ غَيرِ نارٍ

حَوْلَها يُوقَدْ

مِنْ بَعْدِما جَلَسَتْ مَلْأى بِحِكمتِها

قالَتْ لِيَ : ادخُلْ معي

يا طِفْلِيَ المُجْهَدْ

إنْ كُنتَ تبحَثُ عنْ وَرْدٍ لِمَوعدِنا

هذا فَمي بأحاديثِ الهَوى وَرَّدْ

مُدَنَّساتٌ بِلا حُبٍّ مَعابِدُكُمْ

وطالَما ساكِنُوها أفسَدُوا المَشْهَدْ

يتسم النص بالرمزية العالية إضافة الى الخيال الاسطوري / ديني عبر الألفاظ (الالهة ، المعبد، الشمع ، الطقس) فهو يقوم بانفتاح على الواقعية في الجانب الاجتماعي المتأزم : (الرصاص، الحصاد الدموي) إذ يشتغل بوصفه اداة لتكثيف المعنى إذ يعمل على الأ يُظهر الأبعاد الجمالية فحسب، بل يلجأ إلى تجسيد نسقية مضمرة عبر تكثيف المعنى، فالآلهة والمعبد هما رمز للقداسة والخصب وملجأ للبحث عن الخلاص من الواقع حيث تقوم الأنا الشعرية بتحويل النص الى فضاء مدنس يفتقر للحب فالانا تحول المقدس الى مدنس عبر رمزية قائمة بالتكثيف بل وتكثف دلالة الصراع بين الطاهر و الفاسد ، فالنص يقوم بتكثيف لحالة العبثية ، يُكمل الشاعر :

مَتى وُلِدْتَ ؟

وهَلْ كانت مُغامَرَةً حزينةً فوقَ هذي الأرضِ أنْ تُولَدْ ؟

وكيفَ لِلآنَ حَيٌّ أنتَ في بَلَدٍ ؟

رصاصُهُ مِثْلَ هذا الحُزنِ لا يَنْفَدْ

فَوقَ الأَسِرَّةِ مَرضى يُحرَقونَ بهِ

وفي الشَّوارعِ قَمْحٌ يافِعٌ يُحصَدْ

فكَيفَ تَنجُو كثيرًا مِنْ مَصائدِهِمْ ؟

وكُلَّما نَزَلوا في وَحْلِهِمْ تَصعَدْ ؟

تظهر اللا جدوى في الحياة الاجتماعية وكذلك التلاعب بالجانب النفسي المحيط فـــ(فالورد، والهوى) هما رمزان للحب والخصب والحياة لكن الأنا تأخذهما الى مكان أبعد ليتقابلا مع

رصاص الخزن المستمر فيتضاعف المعنى بين إرادة الانسان للعيش بحياة كريمة وبين الواقع المدمي، وكذلك (الشمع بغير نار) يشكل رمزية للزيف والفراغ الطقوسي وكذلك(القمح اليافع يُحصد) في اصل معناه دلالة للخصب والوفرة لكن الأنا تسحبه بدلالة رمزية مزدوجة لتجعله متماهٍ مع الموت المبكر للشباب، و مما يزيد التكثيف الدلالي في ضغط المعنى المفارقة المأساوية في استدعاء الرموز القائمة على الثنائية الضدية (الخصيب / الموت) فالأرض عبر الخيال البابلي في وادي الرافدين هي الرحم الذي يُنتج منه العطاء لكن التحول الذي يصيبها في الزمنية المتحققة من الخراب تحولها الى مصيدة للدمار عبر (الحرمان) الذي يتمثل في عجر الطقوس إذ (المعبد بلا حب، الشمع بلا نار) فهو خطاب موجه من الالهة التي تنادي بخواء المقدس في زمن يتسم بالعنف، و(الخصوبة) التي تجسدها إشارات الورد والقمح وهي مظاهر تتسم بالعطاء والحيوية لكن هذه الخصوبة تنحنى منحى آخر فتتحول إلى مصدر للفجيعة حين حصاد القمح والقمح يتمثل بـــ (الشباب) وهذا الحصاد يأتي عبر رصاص قاتل فالواقع الاجتماع العراقي يرتبط بذاكرة الحروب والحصار والدمار والنص يعمل على تكثيف هذه الذاكرة (الموت / الحراب) في صورة (بلد رصاصه مثل هذا الحزن لا ينفذ) وكأن الوطن الذي يشكل المكان الحاضن الذي يتسم بالأمان تُحاصر فيه الولادة وتسأل الشباب (هل كانت مغامرة حزينة أن تولد ؟؟) ، فعبر هذا التوظيف الرمزي يتحول الرمز الى حامل للذاكرة الجمعية عبر الالهة وهي (رمز الخصب) عندما تتقاطع مع نسقية الأسطورة العراقية (أنانا، عشتار) لكنها تقف عاجزة بلا حول منها ولا قوة في إنقاد الفرد من مصيدة الموت ، هذه المصيدة الحتمية التي تطول الشباب قبل المسنين.

ويُدنس المكان بفعل الفساد فالمعبد يشكل رمز للقداسة ، إذ تقوم الأنا الشعرية في استعادة نسقية المعبد (المسلوب / المدنس) الذي تترسخ في الذاكرة العراقية عبر تاريخها، وكذلك رموز الطبيعية المتشكلة في (القمح والورد) التي تتماهى مع العراقي ذاته، فمثلما يُحصد القمح يُحصد الشباب وهذا ما يشكل تكثيف الرمز للحرمان والموت في مقابل الحياة والخصب، فالرمز لا يتشكل في كونه زخرفًا لفظيًا وجماليًا لتزويق النص بل يبتعد إلى بعد من ذلك ، إذ يتحول إلى أداة لتكثيف المعنى المأساوي في تجربة المواطن العراقي فعبر صورة الخصب والموت تتشكل تأزمية في النص ترسم واقع اجتماعي، فأرض الرافدين التي تشكل رمز للخصوبة تُحاصر بالرصاص والحرمان والفقد وهكذا تظهر جدلية الحياة / الموت والخصب /

العقم ؛ في صورة شعرية مكثفة تحيل المتلقي للصورة التي يراها في النص ، أن بلدًا يفيض بالخصوبة والحب والقمح لا تتحقق به الحياة الكريمة بل موت نافذ فالأنا الشعرية تعمل على تكثيف الصور الشعرية وإحالتها إلى دلالات عميقة تتجاوز ظاهرية الألفاظ عبر رموز وإيحاءات مكثفة فلا تصرح بالمعنى المباشر، فالتكثيف الدلالي في صورة (الإلهة وفتح المعبد) قائم على انفتاح دلالي عبر آلية (الفتح) فالآلهة ليست معبودة اسطورية فحسب بل رمزية ممكن أن تُحقق الخلاص والأمل بالنجاة عند فتح المعبد وهذا إيحاء بانفتاح الباب لتحقيق الخلاص والأمان منه ، لكن الدلالة هنا لا تحيلنا الى انفتاحٍ تام بل تجعله مقيد فهي محاطة بـــ(شمع بغير نار) فعبر هذه الرمزية توحي بفراغٍ روحي وطقوسية مزيفة فيتشكل الخلاص بموعد هش لا يستند الى جوهر ثابت.

وكذلك يتجلى الإيحاء في صورة(الطفل المجهد) إذ يتمثل في صورة الشاب العرقي المرهق الذي يولد في بيئة مثقلة بالحزن والموت وزاد في الايحائية استخدام صيغة (طفلي) التي ترسم امومة حنونة لكن هذه الأمومة لا تستطيع أن تمارس طقوسها لأنها محاطة بعبء العذاب الجمعي فدائمًا ما تبحث عن (ورد) لموعد فهي تبث عبر ايحاءاتها بالحب والحياة والجمال في وسط الخراب.

ويتجلى الايحاء في صورة فساد المقدس (مدنسات بلا حب معابدكم) فأماكن العبادة تفقد قدسيتها فهو إيحاء بأن المؤسسات الدينية والاجتماعية تفقد مكانتها الاجتماعية ودورها الحيوي وتتحول الى فضاء مدنس فالمشهد متمثل بالخراب الشامل ولم يكتف الخراب في الجانب المادي بل تجاوزه الى الجانب الروحي والقيمي.

والتشكيل الدلالي يتركز بكثرة استخدام اسلوب الاستفهام (متى ولدت ؟ أن تولد؟ كيف للآن حي انت في بلد؟ كيف تنجو ؟) تتكرر الاسئلة في النص فيتولد انزياح المعنى ويتجه إلى صيغة الاستفهام الانكاري فالإيحاء بعدم الحتمية جاء بصيغة استفهام انكاري وهو انكار للوجود الطبيعي فكثرة الاسئلة والأجوبة عنها بصيغ عدمية تزيد الواقع المأساوي ويثير فينا سؤال الولادة والموت(هل كانت مغامرة حزينة أن تولد) إيحاء بأن الولادة ذاتها تُرسم بأنها مغامرة مأساوية في بلدٍ يطغى عليه العنف والقتل وكذلك يتشكل الإيحاء الفلسفي الوجودي بأن الوجود ذاته في هذا المكان محكوم بالشقاء والتعب ، فالذات الشعرية ترسم صورة مكان قائم على الشقاء موثث بموت حتمي عبر ألفاظ و دلالات رمزية وإيحائية، فالتركيز على

الرصاص والقمح (رصاصه مثل هذا الحزن) (قمع يافع يحصد) ايحائية باستمرارية العنف ، وقتل الحياة والخصوبة فالعلاقة بينهما تخلق صورة مأساوية بأن الموت يحصد الحياة مثلما يُحصد الزرع.

ويتجلى الإيحاء في كشف (المصائد والوحل) (كيف تنجو كثيراً من مصائدهم ؟) فهذا الايحاء بالمكائد السياسية / الاجتماعية التي تحيط الانسان وتجعله في دوامة لا ينجو منها (كلما نزلوا في وحلهم تصعد) فعبر ايحاء بتناقض الوجود بقياس غرق المفسدون في وحلهم بإمكان الروح الطاهرة للإنسان أن ترتقي عبر فكرة المقاومة والصعود الروحي رغم الواقع المأساوي فالنص مرسوم بشبكة من الايحاءات التي تحول الرموز (الآلهة ، المعبد، الشمع ، الورد ، القمح) الى دلالات وجودية / اجتماعية تعرض لنا صورة مأساة الأنسان العراقي، فعبر استخدام اسلوب الإيحاء ابتعدت الأنا عن استخدام المعنى المباشر لكى تحرك في ذهن القارئ صورة عن الخلاص المفقود الذي يسعى إليه الشعب والطفولة المجهدة التي تصيب الانسان العراقي والقداسة المدنسة والولادة المأساوية والموت الذي يحصد الحياة.

تقوم الأنا الشعرية بقلب الصورة عبر التقديم والتأخير في (كيف للآن حيٌ أنت في بلدٍ؟) فالجملة لا تُحيلنا إلى لعبة لغوية و تُثير فينا جماليات النص فحسب بل هي وسيلة دلالية وُظِفت لإنتاج أثر إيحائي ويثريه الولادة ، يكثر هنا سؤال الولادة والموت : هل كانت مغامرة حزينة أن تولد ؟ بل هي ايحاء بأن الولادة ذاتها ترسم مغامرة مأساوية في بلد يطغى عليه العنف والقتل وكذلك يتشكل الايحاء الفلسفي الوجودي بأن الوجود ذاته في هذا المكان محكوم بالشقاء والتعب ، فلذات الشعرية ترسم صورةَ مكانٍ قائم على الشقاء موثث بموت حتمي عبر ألفاظ و دلالات رمزية وإيحائية، فالتركيز الدلالي بتقدم لفظة (للآن حيٌ) عبر التقديم الزمنية (للآن) جاء لتسليط الضوء على هذا العنصر الزمني الآني لأن الدمار متحقق في الواقع ، وكذلك (حيٌ) فمعنى الحياة غائبٌ عن المشهد الشعري فقد جعلت الأنا المركزية الدلالية في هذه اللفظة عبر ايقاع ينسجم مع الشكل الصوري للنص ، وكذلك يتشكل التقديم في (آلهة بيدها تفتح المعبد) فتقديم الآلهة إيحاء بمقام القداسة والدهشة حيث تصبح الآلهة مركز الصورة قبل أن تحدث عملية الفتح وهذا التقديم يزيد من الإيقاع المفاجئ في النص ويكسر الرتابة المألوفة للجملة فيتولد الانزياح الإيقاعي والمعنوي الذي يعمل على جذب انتباه المتلقي ومنحه شعورًا بالغرابة أو الجدّة ، وكذلك يظهر في (الشمع من غير نارٍ حولها يوقد) فالمعتاد ذكر

النار قبل الاتقاد لكن تأخيرها وذكرها بصورة منفية (من غير نار) ولد مفارقة إيحائية (ضوء بلا مصدر/ قداسة زائفة) فهذه الانزياحات الدلالية تكشف لنا بأن الأنا الشعرية في لحظة الكتابة لا تلتزم بترتيب نحوي جامد بل تسير على تدفق شعوري لانعكاس الأولوية الوجدانية فتعبر عن الانفعال قبل النظام.

2_ تعددية القراءة وتنوع المسارات في جدلية الخصب والموت

تتجلى تعددية القراءة وتنوع المسارات في جدلية الخصب والموت من خلال انفتاح النص على مستويات دلالية متشابكة، تسمح بتأويلات متباينة تبعًا لزاوية النظر وعمق القراءة ، فثنائية الخصب والموت لا تُطرح بوصفها تضادًا بسيطًا بين الحياة والفناء، بل بوصفها حركة جدلية تُنتج المعنى عبر التناوب بين النهايات والبدايات، بين الفقد والولادة. وبهذا يصبح النص مجالاً حيوياً تتكاثر فيه الدلالات؛ فالموت يمكن أن يُقرأ كبذرة حياة جديدة، والخصب قد يُرى كاستمرار لتجدد الكينونة رغم الفناء، هذه الجدلية تفتح النص أمام القارئ على احتمالات لا نهائية للفهم حيث يتحول كل رمز أو صورة إلى نقطة انطلاق لمسار تأويلي جديد يعيد اكتشاف العلاقة بين العدم والامتلاء، وبين الخراب والخلق.

وللولوج إلى منحى آخر من النصوص التي قائم على الجدلية بين الخصب والموت تستوقفنا قصيدة (حَفلةُ النِّسْيان) (مجبل :16) :

قلبي هِلالٌ

كانَ يُفتي دائمًا بالعِيدِ

حتى في ضُحى رمَضانِ

العِيدُ عِندي أنْ تَجيءَ قصيدةٌ

وتُلَوِّحَ الأزهارُ في نِيسانِ

أنْ يَستردَّ أباهُ طفلٌ خائفٌ

وتَكُفَّ دُمْيَتُهُ عنِ الأحزانِ

العِيدُ أنْ يَنسَلَّ غُصْنٌ طائشٌ

مُتَحَدِّثًا عنْ حِكمةِ الرُّمّانِ

تحمل العتبة النصية الأولى تكثيف دلالي يوحي بتناقض جمالي ؛ فالنسيان يُحتفى به ويُشكل فرحًا وكأنه طقس مقدس ، لكن ما تلبث أن توقظنا اللفظة المجاورة مشكلة انكسار واختلاف

للمعنى محدثةً صدمة عبر لفظة(النسيان) إذ توحي اللفظة بمرارة الذاكرة المثقلة، ثم يكمل قائلاً:

كُلُّ الدَّراويشِ الذينَ تَفَرَّطُوا في العِشْقِ

يَصْحَبُهُمْ نَحيبُ كَمانِ

هُمْ أصدقائي النادرُونَ

وغارِسُو باللاجوابِ حدائقِ الإنسانِ

والحامِلُونَ وجُوهَهُمْ تَعويذةً

كي يُغلِقُوا بَوَّابةَ الطُّوفانِ

عاشُوا على هذا الترابِ

وأَوْمَضُوا

ثُمَّ اختَفَوْا مِنْ (مُعجَمِ البُلْدانِ)

تظهر إشارة إلى رغبة جمعية في تجاوز الألم أو استحالة محو الجرح ، فالمركزية القائمة على رمزية (حفلة النسيان) تُحدث تعادل بين الألم الجمعي وطقوسية احتفالية مقلوبة ، إذ يتحول النسيان (الموت الرمزي للذاكرة) إلى وسيلة للبقاء ، ويتضح لناعبر كشف الدلالات الإيحائية وفك الرموز بأن القصيدة لا تشير إلى ما هو ظاهري (حفل نسيان) أي التخفيف من الذكريات الموجعة ، فعبر الولوج إليها وتمحيص النص تظهر الدلالات والرموز فينكشف النقيض من ذلك ، إذ تقوم القصيدة بأكملها على الاشتغال بالتذكر لا بالنسيان فكل صورة أو رمز يقوم باستدعاء الماضي (الأطفال، الدمى، الأهوار، المعدن، الأسماء ، ذكر بغداد القديمة) فهو يقوم بعملية استبدالية عندما يعرض لنا موكبًا من الأماكن والشخصيات والأحداث والإيقاع وكأنه يخشى أن تُمحى الذاكرة الجمعية ، فبهذا المعنى تعمَّدت الذات الشعرية ممارسة فعل المقاومة ضد محو الذاكرة فهي تقوم بالتصدي التام لزمن الخراب الذي يسعى إلى إخفاء الرموز والذاكرة وتعوضهم بذاكرة شعرية تمنح الشخصيات عبر ازمنتها ديمومة في الحياة ، ومما يشكل في إعادة بناء المعنى هو أنه(حفلة استذكار) عبر الانفتاح على الدلالة ، فالذات لا تكتفي باستذكار شيء واحد بل تستدعي طبقات متراكمة (اسطورة ، تاريخ، سياسة، حب، طفولة) فالذات الشعرية تستعيد كل ما أراد الطغيان تخريبه وتجعل النص ضد الموت الرمزي للذاكرة عبر أفق مفتوح من المعاني.

أحكي لَهُمْ عنْ صَوْتِ (مسعَودِ) الذي

مازالَ مُعتنِقًا قُرى ميسانِ

عن ثورةِ (حضَيري وداخِلْ)

يفتَحانِ على السهُولِ نوافِذَ العِصْيانِ

تتبني القصيدة على إيحاء قائم على استدعاء صور ومشاهد تاريخية واسطورية وذاكرة جمعية ، إذ تدور حُبكة القصيدة حول لفظة (العيد) لتصبح علامة ايحائية قائمة على الاحتفال – لكنه ليس الاحتفاء الديني المُبهج بل تُحِيلنا إلى معانٍ أُخر؛ معان بديلة وهي : (القصيدة ، الحب ، عودة الطفولة ، استعادة المفقودين ، انبعاث الطبيعة ، التحرر من الطغيان) فكل هذه الرموز تشير إلى اقامة فرح وعيد عندما تحل .

عن (زاملِ) الشَّطريِّ

حِينَ دَعاهُ (طالبُ)

كي يذُوقَ وَليمةَ الألْحانِ

عنْ مَجْدِ (المعَيبِرْ عَبِدْ)

لَمْ يصطحِبْ معهُ بِقارِبِه سِوى (عَرْيانِ)

أحكي لَهُمْ

عن كُلِّ مَنْ ماتوا هُنا

وتَحَمَّلُوا ساديَّةَ الأديانِ

عن أغنياتِ (مُظَفَّرِ النوّابِ) ، غَنّاها الرفاقُ ، (بِنُقْرَةِ السِّلْمانِ)

عنْ حُزْنِ قَيسٍ بَعدَ ليلى

عن دموعِ أبي نُواسٍ بَعدَ فَقْدِ (جِنانِ)

عن مَوتِ (أنكيدُو) أخي

ووقوفِ (سِيدُوري) مُوَدِّعَةً بِبابِ الحانِ

تستدعي الأنا الشعرية أسماء شخصيات كان لهم أثر في الأنا الشعرية لذلك قامت باستدعائهم ليقوموا معها بالاحتفال في هذا النص : (مسعود ، ناصر حكيم، زامل الشطري، مظفر النواب، قيس، أبو نؤاس ، فهد ، طالب ، انكيدوا ، سيدوري) فهذه الاسماء تشكل شبكة ايحائية ممتدة من الاسطورة السومرية الى التراث الشعري الحديث شبكة قائمة على شخصيات

تحمل ارثًا عظيمًا، اذ تقوم الأنا بمزج الماضي والحاضر في مشهد شعري واحد عبر انفتاح دلالي متمثل في القصيدة عندما تفتح أفق التأويل امام المتلقي عبر احتمالات متعددة من الدلالات في: (غصن طائش متحدث عن حكمة الرُّمان) فهو رمز الخصب أو بالإمكان أن يكون رمز للتمرد او للبحث عن معنى في فوضى عارمة ، وكذلك (الأهوار) فهي لا تشكل مكان عابر في ذاكرة الأنا الشعرية ، بل هي ذاكرة جمعية للخصب والحرية والانتماء فهذا المكان له قدسية كبيرة في ذاتية الشاعر وهو رمز للهوية العراقية الأصيلة التي تقوم بمواجهة النسيان ، وتتشكل رمزية أخرى في القصيدة وهي (الكمان) فهو آلة موسيقية لها واقعة ايقاعية مؤثرة فالذات الشاعرة بعد أن تحدد المكان وهو الأهوار تقوم بتأثيث هذا المكان فيشكل الكمان أحد أدواتها الذي يُمثل صوت النحيب والحنين وهذه الاصوات لا تخرج الا من أصوات حزينة ، لكنه ايضًا يتمثل في كونه رمز للثورة الغنائية ضد القهر و رمزية أُخرى للتعبير عن الألم الجمعي وللصوت الذي يقوم بتخليد ذكرى الغائبين.

ثم تكشف الأنا الشعرية عن احتياجها في نهاية المطاف فتقول لنا :

أحتاجُ بغدادَ القديمةَ

قَبلَ أنْ تَجْتاحَها هَمَجِيَّةُ القُطْعانِ

أحتاجُ بعضَ العيدِ لِلأطفالِ

بعضَ الذكرياتِ لِحَفْلَةِ النِّسْيانِ

تنفتح الدلالة في الحوار الخاص والعام عبر المشاهد الشخصية (قصيدة حبيبة ، دمعة، طفل) فهذا الانفتاح الدلالي يحدث تقاطع مع الذاكرة الوطنية والقومية (ثورات ، نضالات ، رموز) إذ تشتغل الرمزية بأبعادٍ كبيرة في النص (الهلال، الاطفال والدمى، الطوفان) فالهلال يتشكل في بعد رمزي للولادة والتجدد ، لكن الأنا الشعرية تربطه في النص بالقلب ، فتظهر الاستعارة لتعكس طهر الشاعر وإصراره على جعل العيد متكررًا و متجددًا رغم الحزن والأسى والفقد ، وكذلك تظهر رمزية (الأطفال والدمى) فهي رمزٌ للبراءة المفقودة والامل باستعادتها ، وكذلك رمزية أخرى وهي (الطوفان) فهو رمزية تثير فينا حادثه الطوفان مع نبي الله نوح عليه السلام وما حمله هذا الطوفان ، والأنا الشعرية تربطها بتعويذة لإغلاق بوابة هذا الطوفان فالشخصيات السابقة اخطأت وعاشت على هذه الأرض ثم اختفوا وكذلك الشخصيات التي تعيش الآن تتشابه خطيئتها بالتي قبلها فالذات الشعرية تربط بين الحدثين فتجعل الطوفان

رمز للخراب الشامل في مقابل(التعويذة) التي تحملها الوجوه المقهورة لدرء الكارثة المتحققة.

و تُحيلنا الرمزية القائمة في جدلية (النهار/ الليل) إذ تشكل هذه الثنائية رمزية عميقة تنفتح على مستويات دلالية متعددة : فالنهار يتمثل بأنه (منصة لمن اعتنوا بشكوكهم) إذ يمثل فضاء مكشوفًا تُهيمن عليه العلنية فتجسيد الشكوك والخذلان والانكشاف أمام قسوة الواقع المرير عبر نهار رمزي دال على سلطة الواقع والوضوح الفاضح وعلى الصعيد النفسي والوجودي ؛ إذ يمثل النهار لحظة مواجهة الذات مع العالم الخارجي إذ تطفو الأسئلة والشكوك لكن بلا اجابة ، فالتواتر الايحائي في النهار ليس لأنه فضاء للحياة كما هو المعهود ؛ بل للشك والانكسار وكذلك هو تشكيل للوعي الجمعي بالانكسار والهزيمة وفي مقابله (الليل) (محراب الكؤوس ورفقة حفلت ظرافة الندمان) فدلالة الليل تشير دومًا الى الغموض والاختباء فهو يتحول الى فضاء حميمي يشكل مأوى للهروب والبوح والسكر الجماعي، ويشكل أيضًا رمزية للحلم والستر والتواطؤ الجمالي مع الألم ، وعلى الصعيد النفسي / الوجودي يشكل الليل لحظة تصالح مؤقت، فيتحول الحزن إلى طقس جماعي عبر (خمرة ، الندمان ، المحراب) وكان الليل يمنح عزاء رمزيًا لجرح الانسان الذي يلتجئ اليه ليكشف ما به فيتحول الى فضاء للراحة والبوح ، فتقوم الثنائية(الليل والنهار) بالكشف عن حالة الاغتراب الوجودي ، فالإنسان العراقي يعيش النهار بوعي تحت وطأة الشكوك والخذلان ، في حين يجد في الليل / الحلم مسافة لمقاومة الانكسار الذي يصيبه ، فهذه الثنائية تمثل صراعًا بين انكشاف الحقيقة القاسية وبين البحث غير المجدي عن العزاء الرمزي وبين وعي ملي بالخذلان و بين حلم فار هارب بالخمرة والرفقة والندماء. فالقصيدة تزاوج بين الحنين والأسى وبين الجانب الواقعي والاسطوري وبين السياسي والوجداني عبر بنية شعرية تتسم بـــ (التناص) مع (الاسطورة ، التراث الشعري ، الذاكرة الوطنية) ويشارك المتلقي في انتاج المعنى عبر جماليات الإيحاء والرموز ، فالأنا الشعرية لا تبث الدلالة بشكل مغلق بل تُستثير المخيلة لإعادة تركيبها ولتشكيل النص بصيغة أُخرى.

المبحث الثالث:

جماليات الإيحاء وانفتاح الدلالة

1_ تداخل الحسي مع الروحي والوجودي

يُمثل **تداخل الحسي مع الروحي والوجودي** في تمازج التجربة الجمالية بالتجربة الفكرية داخل النسيج الشعري، بحيث لا يعود الحسي مجرد إدراك للمحسوس، بل يصبح مدخلاً لإدراك أعمق يتصل بجوهر الوجود ومعناه. فالعناصر الحسية — كالصوت؛ واللون؛ والرائحة؛ والملمس — تتحول في النص إلى رموز تُشفّر حالات وجدانية وروحية، وتستدعي أسئلة تتعلق بالكينونة والخلود والمعنى، إن الشاعر لا يصف العالم الخارجي بوصفه مشهدًا بصريًا فحسب، بل يحمّله طاقة شعورية وروحية تتجاوز الظاهر إلى الباطن، والمادي إلى المتعالي، لتغدو التجربة الشعرية فضاءً تتعانق فيه الحواس مع التأمل، وينصهر الوجود الفردي بالكوني في لحظة كشف شعري تتجاوز حدود اللغة والتجربة العادية.

ولكشف التشابك بين التجربة الحسية والتجربة الروحية في صراع اللحظة التأزمية الإنسانية تظهر أمامنا قصيدة (في زقاق الحرب) (مجبل :50) لتكشف الدلالة جمالياتها حيث يتجلى لنا المشهد الواقعي المثقل بالدمار:

هُنا

بينَ بَيّاعي بُكاءٍ مُزَيَّفٍ

فتًى بأغاني عُمْرِهِ مُتَوَرِّطُ

وحِينَ تَراجِيدْيا العَبيدِ

تُحيطهُ

يَعُدُّ فُكاهاتِ السنينِ ويَغلَطُ

أطَلَّ على الأشجارِ

وهيَ سعيدةٌ

وفيها طُيورٌ لِلربيعِ تُخَطِّطُ

وصادَفَ أنَّ الحقْلَ

كانَ صديقَهُ

وأنَّ فَراشاتٍ هُنالِكَ تَنْشَطُ

تتأسس قصيدة (من زقاق الحرب) على جدلية الرمز والإيحاء، إذ تسقط الشاعرية في تصيير الحرب من واقعة مادية دامية إلى فضائية رمزية تفيض بالصور الشعرية والانعكاسات العميقة، فالنص لا يشكل تسجيل لحظة تاريخية فحسب بل إعادة إنتاج له عبر مخيلة تستقطب الحرب كقدر يتجاوز الحدود الجغرافية إلى محنة الوجود نفسه عبر إيحائية منفتحة ورمزية للحرب ، فرواية الحرب لا تسير على وصفها معركة محددة بل تُحال الى أرشيف ملئ بالأحداث عبر صور شعرية وايقاع صاخب وذاكرة ممتلئة بالمشاهد ، فشخصية (المذيع) التي تظهر في النص تتجسد في رمزية صوت السلطة التي تقتحم الصفاء الداخلي للإنسان فلا يمثل مجرد ناقل للأخبار بل يتجاوز ذلك ، أما (الدخان) و (الدم في المزهريات) فاجتماعهما في نص يشير إلى جدلية قائمة بين الجمال والموت و بين رمزية الحياة ورمزية الفجيعة، فهي تتجاوز حدود المباشرة لتوسع افق النص فتظفي عليه إيحائية واسعة فلا تكتفي بتمثل الخراب في صورته العينية ، بل تنقله بأثر عميق إلى أدق تفاصيل الحياة اليومية، إذ يتحول من رمز للأنس والجمال الى وعاء للفناء ومرآة لاقتحام الموت لفضاء الألفة المنزلية، فالمزهريات التي صُنعت لتحوي الزهور وتضفي جمالية تتحول إلى مسكن للدم ، عبر انقلاب قاسٍ للمعنى فالحرب لا توصف بحدث خارج يقع في الساحات والحدود، بل قوة موحشة تخترق الباطن وتسيطر على خصوصية البيت فيتحول الجمال الى شاهد عيان على الرعب، وتستبدل الذاكرة المعطرة بذاكرة دموية، عبر اشارة إلى إن الحرب تسلب الرموز و دلالتها ولا تكتف بإبادة الاجساد فحسب بل تحول الفرح وتقرنه بالحزن وتجعل من الزينة قرينة الفاجعة وما يضاعف هذا المشهد الإيحائي صورة الدخان إذ يشير الى رمزية التلاشي الكابوسي والطمس، فيخفي الألوان والنقاء ويضمحل الوضوح وتفقد الحياة ملامحها ، فيتحول المشهد العام إلى اختناق البصر والروح ، وفي هذه الصورة المركبة يتجلى النص عبر مشهد إيحائي يلخص كيف تقوم الحرب في جعل الاشياء الأكثر حميمية متحولة إلى أدوات موت صامت، و كيف يتغلغل الخراب في جوهر الجمال نفسه فيعيد صياغته وفق مفهوم الفقد والدمار، ويكمل الشاعر أنينه:

ولكنَّ صَوتًا مِنْ مُذيعٍ

أخافَهُ

كخَوفِ جَوادٍ خارِجَ الريحِ يُرْبَطُ

فَجَفَّتْ سَواقي رُوحِهِ

وتَوَعَّكَتْ وطارَ قَطًا في قَلْبِهِ كانَ يَلقُطُ

فَحَلَّقَ مَفزُوعًا

بأقصى ظُنونِهِ

وأعْيُنُهُ مِنْ عَودةِ القمحِ تَقنَطُ

على شارعٍ في النَّوْمِ

حَطَّتْ جِنازةٌ

وثَمَّ دَمٌ بالمَزهريّاتِ يُخْلَطُ

تَفَشَّى دُخانٌ في الأغاني

وإذا قسمنا المشهد لمستويات عميقة لكشف أبعاده ، فيتجلى البعد الوجودي والفلسفي والشعري في إطار متماسك ، فاجتماع (الدم في المزهريات والدخان) لا يقدم مشهدًا شعريًا عابرًا بل يقوم بالتأسيس لبنية رمزية ناقضة الحدود بين الثنائيات المتقابلة الجمال / الفناء والحياة /الموت ، فإذا تطرقنا إلى الجانب الوجودي نجد تحول بتفاصيل الألفة المعيشية (كالزهور والهواء) إلى بواعث للفقد إذ يصبح الموت مقيمًا في صميم الحياة لا مفصولاً عنها ، أما على المستوى الشعري تتكشف الصورة الرمزية على تحويل الأشياء إلى أرشفة دموية تختزن ذاكرة الضحايا ويأتي الدخان بتغليف هذه الصورة التي تتحول إلى كابوس يمحي الالوان ويقوم بتشيع غبار الفقد فوق معاني الجمال، بهذا نجد تركيب الصورة لا يقرأ بوصفه مجرد تجميل للخراب، بل كإعلان عن تهاوي القدرة الانسانية على العزل بين ما هو حياة وما هو فقد، لتصبح الزهرة شاهدًا على الدم والهواء حاملاً للاحتراق ، والوجود الإنساني ذاته قائم على المفارقة الدائمة بين النمو والزوال.

وأُجِّلَتْ نَوافذُ

واستَشْرى نهارٌ مُرَقَّطُ

مَضى في زُقاقِ الحَرْبِ

مِثْلَ ظهيرةٍ

خُطاهُ حُروفٌ بالرَّصاصِ تُنَقَّطُ

تَحَدَّثَ عَمّا كانَ يجري

بِدِقَّةٍ

ومِنْ صَوتِهِ

كانت نوارسُ تَسقُطُ

يتشكل تأثيث الموت في تفاصيل الحياة اليومية في هذه القصيدة عبر انفتاح الدلالات الايحائية وتجاوز حدود المشهد الشعري إلى خطاب واسع عن انهيار التوازن بين الحياة والموت، وعن الانكسارية للمعنى الجمالي حتى يتحول كل رمز للحياة إلى مشهد للفناء والموت.

2_ الرمزية البصرية وآثارها على النص

تتجسد الرمزية البصرية وآثارها على النص في قدرتها على تحويل الصورة الشعرية من مجرد تمثيل للمشهد الخارجي إلى أفق دلالي يتجاوز حدود الرؤية المادية، فالعين لا تلتقط الشكل فحسب، بل تُعيد تشكيله داخل المخيلة ليصبح وسيلة لاكتشاف البعد الخفي للأشياء، عبر هذا البعد تتحول الصورة البصرية إلى حامل للمعنى الرمزي، وتغدو الألوان والأضواء والظلال أدوات لإيحاءات روحية ووجودية، إن توظيف الرموز البصرية يمنح النص طاقة إيقاعية وتشكيلية، ويعمّق تجربته الجمالية بحيث يتفاعل القارئ مع المشهد لا بكونه وصفًا حسيًا، بل كتمثيل لتوترات النفس وصراعات الكينونة، وهكذا تتأسس بنية النص على رؤية تُفكّك المرئي لتكشف ما وراءه من دلالات كامنة تتجدّد بتعدد القراءة، وتحيلنا قصيدة(مَدينةُ العَبيد) (مجبل :40) إلى دلالات رمزية بصرية مكثفة ، إذ توظف الأنا الصورة الشعرية بوصفها أداة للكشف عن زمنية قهرية:

الشَّنْفرى

في لُجَّةِ الليلِ العِرائيِّ ابتعَدْ

مُخَلِّفًا ثَأرَ أبيهْ

وباحِثًا لِأجْمَلِ الفُتّاكِ عن شَبيهْ

كانَ وحيدًا بينَ فَكَّيِ الظلامْ

ولَمْ يُوَدِّعْهُ مِنَ الأَزْدِ أحَدْ

وراءَهُ مدينةٌ هذا الفتى الفَريدْ

لا سُلَّمٌ يَصعَدُ

نحْوَ نجمةٍ في لَيلِها الشديدْ

لا جَرَسٌ يَدُقُّ

كي يُحَذِّرَ الطيُورَ مِنْ رصاصةِ الصيّادْ

مدينةٌ يَحرسها البَرابرةْ

تَبكي على الأطلالِ كُلَّ عِيدْ

تحيلنا العتبة النصية الأولى في القصيدة (مدينة العبيد) إلى دلالاتٍ عدة إذ جاءت العتبة محملة بدلالة رمزية مثقلة تشير الى فضاء متخيل / واقعي يحوي على شبكة من المعاني الثقافية والاجتماعية والسياسية، فالدلالة الرمزية يمكن أن تفسر في مستوياتٍ عدة : فإذا قرأنا الدلالة الرمزية من المستوى الاجتماعي / السياسي سنجد أنها ترمز إلى مجتمع مسلوب الحرية إذ يعيش الأفراد كأدوات وقد تم السيطرة عليهم في حين تحيلنا دلالة أخرى الى استعارة عن الاستبداد والقمع السياسي الذي يجعل الناس(عبيد) للسلطة الحاكمة ، وعلى المستوى الثقافي / النفسي ترمز المدينة للحياة الحديثة المقيدة التي تحول الإنسان وتجعله داخل منظومة الاستهلاك والطاعة، في حين تأخذنا دلالات أخرى الى معنى الاغتراب الجسدي فيعيش الانسان في مدينة مزحومة السكان لكنه مسلوب الارادة ، يعيش عبدًا لعادات وقيود اجتماعية، وعلى المستوى الرمزي /التاريخي تحيلنا كلمه (العبد) الى ذاكرة العبودية في التاريخ لكن زجها في إطار (مدينة) يقوم بتوسيع الرمزية ليشمل كل زمان ومكان إذ يقوم بإلغاء حرية الانسان فهو تعميم للعبودية الجمعية، وتنفتح الدلالة اكثر لتمنحنا احتمالية أن تكون مدينة عالمية/ الكونية يعيش عليها الان الانسان كعبد لأطماع المال، أو الوجاهة او حتى لعبودية الفكر فهذه العنونة المتكونة من لفظتين عند انفتاح الدلالة تحيلنا الى مستويات عديدة فالقصيدة تتحرك في فضائية نقدية احتجاجية تقوم بفضح واقع تختزل فيه الإنسانية وتحوله إلى عبودية.

والدلالة الأقرب إلينا هي أنه نص رمزي مكثف قائم على التهكم والاحتجاج عبر بناء لغوي في تصوير المدينة / المجتمع عبر فضاء مليء بالتناقضات ، فنحن لا نواجه مدينة مطلقة محددة على الخريطة بل فضاء رمزي واسع يتسع لكل المدن التي يسودها الخراب وينطفئ فيها الوعي، فالأنا الشعرية لا تصف مدينة عمرانية أو جغرافية بل ذاكرة مريضة مشدودة إلى أطلالها عبر نسق ثقافي مثقل بالدلالات فذاكرتها مربوطة بأطلالها في حين أنها تغلق أبوابها على حاضر بلا أفق فهي (جنة سوداء) تتدفق السيوف تحتها بدل المياه، عبر استدعاء لماضي يورث تكرار وجمود ، في مجابهة هذا الفضاء الشعري تقوم الانا الشعرية باستدعاء

شخصية شعري (الشنفرى) مُشكلة في هذه الشخصية قناع يبحث عن الحرية، اذ تقوم الأنا بإخراجه من لجة الليل العدائي .

مدينةُ الوَحْلِ الطُّقوسِيِّ بِغَيرِ ذاكرةْ

جميعُ ذكرياتِها محصورةٌ

في ما يَبيعُ شَيخُها النخّاسُ مِنْ صَبايا

سَيَشتريهِنَّ هناكَ المؤمنونَ حَصْرًا

وبَعْدَ أنْ يُوَقِّعُوا بالأحرُفِ الأُولى على الأجسادْ

سيَبْعَثُونَهُنَّ لِلقُضاةِ والقادةِ في الأمصارْ

مدينةٌ تُخيفُها الأغاني

تبدأُ صُبحَها بِلا شُبّاكْ

يَعوي الخُرافيّونَ فيها بانتظارِ الآخِرةْ

مدينةُ (فلاش باكْ)

مِنْ تحتِها تَجري السيوفُ دائمًا

وتَفشَلُ الأعيادْ

يُحَرِّمُونَ الخَمرَ في أرجائها

ويَستبيحُونَ دَمَ الإنسانْ

وفي الطريقِ نَحْوَها

تَقْتُلُ فِرقَةُ المُؤذِّنينَ ساعيَ البريدْ

مدينةٌ تسكُنُها الآنَ سُلالَةٌ جديدةٌ مِنَ العَبيدْ

لا يشكل هذا الفعل هروبًا بل هو فعل تمرد على ذاكرة مسكونة بالعبودية، فيترك خلفه مدينة تصادر الغناء وتستبيح الدم، تُحرم البهجة وتكرس القتل ، فيقوم البعد الإيحائي في النص على توسيع الأفق للمتلقي ، فتنقلب الصورة على معناها ، ويظهر الوجه المضاد للرمز، حتى تتحول هذه المدينة إلى قفص رمزي يختزل وجه الاستبداد فالنص قائم على رموز مؤطرة ، فالمدينة تشكيل رمزي لبنية اجتماعية وسياسية مغلقة فهي لا تُعد مكان عابر بل متحكمٌ بها طقوس مستبدة مقابلة قائمة على تكرار قهري للماضي السحيق، فهذا المكان قائم على رمزية لـــ(مجتمع مأسور) في قيد العبودية والتبعية ، وتظهر رمزية مزدوجة وهو (العبد) فيشكل

من جهة(العبودية) ومن جهة أخرى (الخضوع للسلطة ، وجمود فكري، واستلاب ثقافي) ، فهي تعني انكسار للذات وتغيب في إرادة الفرد الحر الذي يُريد تشكيل مصيره وجوديًا وذاكرة ذهنية مقموعة تفرط بالكرامة الانسانية فتتحول الحياة الى سوق نخاسة يُباع فيه الفرد ويُشترى فالعبودية حالة ذهنية ونفسية وثقافية تُحيل الى فقدان الحرية والكرامة وعدم امتلاك الحلم.

والرمزية الثانية في هذه القصيدة هو: الشاعر/ الشنفرى: فهذا الشاعر يمثل رمزية تمردية على القبيلة/المدينة، فحضوره يشكل قناع شعري للتعبير عن عزلة الانسان المبدع ورفضه لمدينة الاستبداد.

وكذلك تتجلى رمزية ثالثة وهي (الليل العدائي) فهو تشكيل لصورة مكثفة للظلام الروحي والحضاري، فالليل تشكيل لقوى القهر والخراب الروحي ، و(السيوف التي تجري تحت الجنة) دلالة رمزية لتناقض الخطاب الديني والسياسي فهذه الجملة تحمل تحت طياتها دلالات نسقيه تُحيلنا الى امور مغايرة لما هو ظاهر ، فالظاهر النصي انها مدينة مشبهة بالجنة لكن ما تخفيه الدلالات الايحائية تحت طياتها خوف يجر تحته الدم فالنص قائم على الايحاء التهكمي، وهذا الإيحاء يقوم على قلب المعنى المألوف للجنة الى صورة نقيضة (جنة سوداء/ جنة الحراب) ومن الايحاءات البارزة في هذا النص ظهور (الايحاء بالموت المتكرر) فهذه الصورة لا تعبر عن موت وفناء جسدي بل هو تشكيل لعلامة على اغتيال المعنى وتكرارية الموت في أي نص يحيله من حادثة عابرة الى نسق وجودي يُغلف الذاكرة بالقتامة المستمرة ويبعث في النفس شعور الانطفاء وعدم الرغبة في هذه الحياة فحتمية الموت لا تكتفي بالفرد بل تتجاوز ذلك الى حيز الجماعة ، فيتحول الماضي من تاريخ يستعاد للتعلم إلى مقبرة متاحة تجدد نفسها كل يوم ، فهي تقوم باستدعاء الموتى منذ ألف عام وكأنهم لم يموتوا فيصبح الإنسان الحي محاط بجنازات لا نهائية ويتحول الانسان الى اسير في الحياة، فالموت لا يشكل نهاية بل يتحول الى بنية دائمة متجددة تقطن الذاكرة وتتجسد في الخطاب والطقوس والثقافة فهذا تأكيد عن عجز المدينة على الانبعاث.

وتتجلى إيحائية أخرى هي : ايحاء الاغتراب ؛ فالشخصية الوحيدة (الشنفرى / الشاعر) هو الذي يجابه المدينة المتحجرة التي تنعدم فيها الحياة فهذه الشخصية تثير إيحاء العزلة الوجودية فهو يعيش وحيد بين (فكي الظلام) فهذه رمزية تُشير إلى افتقاد الأمان لأنه محاط بليل قاس لا يترك له منفذًا فالوحدة ليست مكانية فحسب بل وجودية إذ يقف الشاعر صلبًا في مجابهة

قوى الاستبداد والتمرد فهو يقوم بمغادرة (مدينة العبيد) وهذا الاغتراب ليس استسلامًا بل رفضية قطعية فتفضيله للوحدة على أن يكون عبدًا في مدينة العبيد .

فإيحاء الاغتراب يكشف أن الشاعر ليس الوحيد الذي يمثل رمزية للضعف بل علامة على وعي متأزم يصر على المواجهة الفردية في عالم مأسور بالعبودية .

وتتكشف البنية الرمزية / الإيحائية في التقابل بين (مدينة / فتى وحيد)(جنة / سيوف) (ذاكرة / نسيان) (تحريم الخمر / استباحة الدم) ينهض النص على شبكة من التقابلات الرمزية متضادة التي تقوم بمنح النص تواتر داخلي وتجعل المعنى منفتح دائم على احتماليات عديدة ، فالعلاقة الجدلية بين المدينة والفتى الوحيد تكشف عن ثنائية (العبودية /الحرية) فتظهر المدينة كياناً مغلقًا على ذاته، مشبعًا بالتقاليد والطقوس، يقابله الفتى الخارج عليها ، الذي يقوم بالبحث عن أفق آخر يسعى إلى تحريره من أسره، في حين تظهر جدلية (الجنة / السيوف) فتظهر المفارقة العميقة بين الوعي المعلن والواقع المعاشي ؛ فمن المفروض أن تكون الجنة موطنا للسلام لكن النص يحيلها الى نص فضائي دموي تروى ارضه بالدماء ، وفي السياق ذاته يظهر التناقض بين (الذاكرة / النسيان)؛ إذ تقوم المدينة باستحضار موتاها و أطلالهم ، في حين يرمز النسيان الى غياب القدرة على التجديد والانبعاث، وتظهر ذروة الجدلية في المفارقة بين تحريم الخمر / استباحة الدم ، فهذا تكثيف رمزي لسلوك جماعي يقوم على عرض مثاليات شكلية على حساب القيم الجوهرية، فيحافظ على طهر الشعائر بينما يشرع الظلم والقتل .

فعبر هذه التقابلات يتشكل فضاء النص بوصفه بنية رمزية مشدودة بالتوتر ، تقوم بالكشف عن انفصام جوهري بين الظاهري والشعار من جهة، والجوهر والممارسة من جهة من أخرى وعبر هذا التقابل تتحول المدينة المصورة معكوسة لذاتها فهي تدعي الطهر والجلال غير أن البنية الداخلية تنطوي على فساد وانتهاك للإنسان وكرامته ، فهذا التوتر الرمزي لا يمنح النص بُعده الدرامي فحسب بل يسعى إلى ترسيخ وظيفته النقدية في تفكيك بنية الوعي الجمعي التي تخفي خرابها خلف قناع المقدس والشكلانية.

الخاتمة

وصل البحث إلى مجموعة من النتائج التي تبرز خصوصية التجربة الشعرية في ديوان **"المعطاش" لأجود مجبل**، من أبرزها:

1. أن **الرمز والإيحاء يشكّلان البنية العميقة للنص الشعري**، إذ يتحولان من أدوات تعبيرية إلى آليات فكرية تنتج المعنى وتعيد تشكيله.
2. **اللغة الشعرية تنفتح على فضاء تأويلي واسع** يجعل النص متعدد المستويات، قابلًا لقراءات متباينة تبعًا لزاوية النظر والخلفية الثقافية للقارئ.
3. **الصورة الشعرية في الديوان ليست وصفية فحسب، بل كاشفة عن رؤية وجودية** ترى في المفارقة والتوتر بين الحياة والموت، والحضور والغياب، مصدرًا لجمال المعنى.
4. **جماليات الغموض ليست عائقًا أمام الفهم، بل وسيلة لتكثيف الدلالة** وتحفيز القارئ على المشاركة في بناء النص لأن الإيحاء الرمزي أداة لتجاوز القول المباشر وصناعة الدلالة المركبة
5. **التجربة الشعرية عند أجود مجبل تتجاوز التعبير الشخصي** لتلامس البعد الإنساني العام، عبر لغة رمزية تستوعب الأسئلة الكبرى للوجود والهوية والزمان ، فهي تنهض على جدلية الرمز/المسكوت عنه.
6. التأكيد على أن الإيحاء الرمزي أداة لتجاوز القول المباشر وصناعة الدلالة المركبة .

المراجع

- مجبل ، أجود (2003). *المَعاطش* ، بغداد، منشورات الاتحاد العام ، ط 1.

المصادر

- فتوح، محمد أحمد(1977) . *الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر* ، مصر ، دار المعارف ، (د.ط).
- الولي، محمد (1990) . *الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي*، بيروت ،المركز الثقافي العربي، ط 1.
- العلاق، علي جعفر(1990). *في حداثة النص الشعري*، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط 1.
- صليبا ، جورج (2008). *المعجم الفلسفي* ، بيروت، دار الكتاب اللبناني،(د.ط).

المجلات والدوريات

- العتيبي ، سارة (2016). *الرمزية وتجلياتها في الشعر العربي الحديث ، الرياض، كلية التربية بالمزاحمية* ، جامعة شقراء، IUG Journal of Humanities Research (Islamic University of Gaza)
- الخرابشة ، علي قاسم (2018). *ظاهرة الإيحاء في الشعر العربي* ، الأردن، مجلة التواصل الأدبي، جامعة عجلون الوطنية ، مجلد 1،عدد 10.